بين القديم والجديد وبين الحياة والموت: حاضنة أردنية للإبداع الأكاديمي

د. حيدر عبدالله الدومي×

اقرأ، كان أول خطاب الهي إلى رسول الأمة وفيه دعوة لتحكيم العقل والمنطق في مظاهر الكون. فقد اشتمل القرآن الكريم على ما يزيد عن ستة آلاف آية منها ما لا يقل عن سبعمائة آية كونية وعلمية احتوت أصولاً وحقائق علمية تنوعت مابين ما وراء الطبيعة إلى الأجنة والوراثة. أما النبي الأمي فكان يحث العلماء على العلم والتعلم ببشارتهم بأن الملائكة تحفهم حباً منها لما يطلبه العلماء، وعليه فإن الإسلام لم يكن ديناً بالمعنى التقليدي للدين، وإنما هو نظام حياة لجأ إلى العقل ليحرك به الوعي الذاتي للفرد ودفع باتجاه إثارة العقل والدعوة إلى النظر إلى ما في العالم من ظواهر، وهي دعوة أدركها أجدادنا الأوائل بشكل عملي، ودفعوا بمهارة ونبوغ بحواضر الإسلام لتتبوء مرا كز العلم العالمية. حضارة أنجبت من العلماء الكثير منهم مازالوا أحياء بيننا إلى يومنا هذا يتبوؤن وإنتاجهم العلمي مقاعد الصدارة كمراجع علمية أساسية في المراكز البحثية العلمية العالمية المعاصرة. أما اليوم فحاضر العلم والعلماء العرب يشير إلى فجوة علمية خطيرة سحيقة تهدد مستقبل هذه الأمة المعرفي الإنساني.

تشير الدراسات إلى أن إنتاج العرب من الكتب لم يتجاوز (١,١٪) من الإنتاج العلمي العالمي، وفي حين أن الدول العربية تنفق أربعة دولارات لكل نسمة فإن أمريكا تنفق تسعمائة دولار، ولم يستطع العرب تسجيل ما لا يزيد عن ٣٠٠ براءة اختراع عالمية مقابل ما لا يقل عن ٦٠٠٠ براءة اختراع سجلت في كوريا الجنوبية وحدها، أما عدد الأبحاث المنشورة لكل نسمة يتكرر وجودها في مراجع الأبحاث الأخرى حسب مؤشر الاقتباس فقد بلغ (٠,٢) لمصر مقابل (٤٣) لأمريكا، و(٨٠) لسويسرا، وأخيراً، فإننا في البلدان العربية نترجم ثلاثة كتب لكل مليون عربي مقابل مائة كتاب لكل مليون إسرائيلي.

وفي محاولة موضوعية لتشخيص هذه الحالة فإنني لم أستطع أن أخلص إلى أن النظام الأكاديمي الذي يحكم سلوكنا العلمي اليوم هو نظام أكاديمي شمولي مسترخي يلجأ معه بعض المستفيدين المتنفذين بحكم طول الباع في صناعة العلم إلى وسائل قمع أكاديمي ممنهج تمارس تكميم الأفواه وقتل الإبداع في صناعة العلم، وهذا كما هو معلوم بالضرورة يعبر عن نظام أكاديمي ضعيف ومهزوز، نظام استرخي بعد أن ترسخت أقدامه، وأصبح واقعاً يتكيف معه الطلاب والعلماء والجدد والمبدعون شاءوا أم أبو راغبين كانوا أو مكرهين.

وهنا تأتي مسألة هتاف الأغلبية الأكاديمية الصامتة التي لا تجهر برأيها تخوفاً كما العامة لا يدلون برأيهم يمسكهم الخوف إلا من رب العالمين. إن الخشية الحقيقية على مستقبل الإبداع والمبدعين قد تأتي من الصمت إذا ما اعتبرناه شكل من أشكال السلبية وعدم الرضا، أما إذا اعتبرنا صمت الأكثرية الأكاديمية مقاومة صامتة فعلينا أن لاتخشاه وأن لا نعتبره سلبياً بل علينا أن نعتقد أنه تعبير قوي عن الرأي بالصمت وهتاف مكبوت تتعدى ذبذباته جدار الصمت ليلتقطها من يهمه الأمر على أن يكون رقيق الجلد ومرهف السمع لقيادة التغيير الايجابي.

ومن هنا جاءت الخلوات الملكية السامية بقادة صناعة القرار الأكاديمي تبعها ورشات عمل وتوصيات رُفعت للمقام السامي. انتهى الأمر بقوانين توصف بالعصرية منظمة للعمل الأكاديمي. وأيا كان الأمر ومع اليقين التام بصدق النوايا التي انبثق منها هذا الحراك، إلا أن القراءة المنطقية العلمية والعملية للواقع الأكاديمي تؤكد على أنه لا القوانين وحدها ولا الأكاديميين وحدهم ولا البنية التحتية وحدها قادرين على خلق البيئة العلمية الحاضنة للإبداع المنتج للعلم. فإن خلق البيئة العلمية التي تشجع على صناعة العلم يستلزم القدرة على توظيف القوانين والأكاديميين والبنية التحتية في نموذج إبداعي مؤسسي ومتماسك يشجع على خلق نقاط تقاطع ايجابية من كل هذه العوامل لتولد بيئة أكاديمية بحثية إبداعية.

لا نريد مؤسسات أكاديمية سميكة الجلد لا تستشعر وخزاً ولا يصم أذنيها صراخ ناهيك عن الصمت، والتي حتماً يروق لها ذلك الهتاف المكبوت الذي لا تتعدى ذبذباته الصوتية مصدرها بالكاد، وإن الاستمرار بقبول المبدأ التقليدي القائل بأن السكوت علامة الرضا سيساهم حتماً في تفاقم أزمة صناعة العلم في المؤسسات الأكاديمية والبحثية في الدول النامية والتي يكاد إنتاجها العلمي لا يذكر في محافل صناعة العلم العالمية.

الأخطر من ذلك كله هو الشعور غير الصادق بأننا من قادة صناعة العلم العالمي، وهذا ما دفعنا لتطوير قدرات فائقة على إدعاء نسب إنتاج علماؤنا الأوائل العلمي لأنفسنا دون حتى بذل الجهد المناسب لدراسة الطرائق العلمية التي تبناها الرازي، والزهراوي، وابن خلدون، وابن قف الكركي، وغيرهم، والتي صنعت علماً غزيراً فشلنا حتى في فهمه أوالبناء عليه الأمر الذي أفقدنا القدرة على أن نحتل مقعداً منافساً بين مراكز صناعة العلم العالمي. وبدل أن يشكل هذا الواقع حافزاً للانطلاق بالاتجاه الصحيح، فإنه ساهم بالإدمان على جرعات متزايدة من الاسترخاء التي استمتعنا بقبول نتائجها المتمثلة بإحساس مفرغ من محتواه بقدرتنا على التأثير في صناعة العلم العالمية.

إذاً لا بد من أن نراجع ضابطين أساسين نمارسهما: الأول الحرية التي نمارسها في حيزنا الذاتي والنفساني (حرية الضمير)، والحرية التي نمارسها خارج النطاق الذاتي وفي الحيز الطبيعي والاجتماعي المحيط، أي حرية الإرادة والاختيار للفعل وتوجيه النشاط والقوى في المجال وفي الغرض الذي نستطيع أن نؤثر فيه إيجاباً أو سلباً.

بانتظار أن يرفع الفريق الوطني المكلف بإرادة ملكية سامية بوضع الآليات التنفيذية للخطة الخمسية الشاملة لتطوير قطاع التعليم العالي تقريره للمقام السامي، وانطلاقاً من الرؤية الملكية السامية المستقبلية الثابتة نحو تمكين شباب الوطن من المساهمة في بناء القدرات الوطنية فإنه لابد من إبداع ما يستحقون من إطار مؤسسي لبناء قدراتهم المعرفية وذلك كمشروع وطني لرفد الوطن بقوافل من العلماء الشباب مسلحين بالقدرات العلمية من معرفة وخبرة ومهارات ليقودوا صناعة العلم في الأردن الغالي عبر القرن الحادي والعشرين ذلك بالإضافة إلى إيجاد آليات قابلة للتنفيذ للتوسع في استقطاب العقول الأردنية الشابة المهاجرة، ودعوتهم للعودة وتحمل مسؤولياتهم تجاه الوطن.

أما إذا ما أتخذت مثل هذه الخطوة، فإن جل ما تخشاه هو أن تُفرّغ هذه الخطوة الريادية من محتواها حتى قبل ولادتها،. وعليه، ولضمان جني ثمار هذه المبادرة واستمراريتها بشكل مؤسسي فإننا مطالبون: أولاً، بتأسيس مجلس للباحثين الشباب في كل جامعة من جامعات الوطن يرأسه رئيس الجامعة. سيشكل مثل هذا المجلس سنداً لمجلسي العمداء والجامعة الموقرين إذا ما مكن الساهمة والمساعدة في رسم السياسات الأكاديمية والبحثية وفي صنع القرارات التي تؤسس لصناعة بيئة علمية بحثية تشجع على الإبداع والإنتاج العلمي. ثانياً، تأسيس حاضنة للباحثين والمبدعين الشباب تساعدهم على إطلاق العنان لمخيلاتهم العلمية وتمكينهم من نقل إبداعاتهم للواقع مشاريعاً علمية تطبيقية. ثالثاً، تبني آلية سريعة وفعالة خالية من البيروقراطية لدعم وتنفيذ مشاريع البحث العلمي، رابعاً ، عادة تأهيل البنية التحتية المؤهلة للبحث العلمي في مختلف المؤسسات الاكاديمية الوطنية، خامساً، الدعوة لأئتلاف الباحثين في فرق بحثية حقيقية متخصصة ضمن ضوابط مؤسسية فعالة، وتخصيص حوافز للعمل البحثي الجماعي، وأخيراً، طرح برامج دراسات عليا تمكن الطالب من خلالها الحصول على الدرجات العلمية العليا بالبحث العلمي على أن لا يقبل الطالب إلا بعد أن يقدم مشروع بحث يستحق الدراسة، ولا يحصل الطالب على الدرجة العلمية إلا بعد أن يثبت بأنه قد أضاف إضافة نوعية للمعرفة الإنسانية، وذلك من خلال إخضاع بحث الطالب للتحكيم من قبل محكمين دوليين.

× الجامعة الاردنية/قسم التغذية والتصنيع الغذائي
بالتعاون مع الجمعية الأردنية للبحث العلمي

العلاج الوظيفي في الأردن: المزيد من العمل

د. هاشم أبوطريه

يعتبر الأردن من أول الدول العربية الذي ادخل خدمات العلاج الوظيفي للمرضى و أول دولة استحدثت برامج تعليمية لتخريج كوادر علاج وظيفي بدأت ببرنامج دبلوم في الخدمات الطبية الملكية عام ١٩٨٩ ومن ثم تطور هذا البرنامج في الأردن ليصبح على مستوى البكالوريوس في ثلاث جامعات رسمية وهي الجامعة الهاشمية والجامعة الأردنية وجامعة العلوم والتكنولوجيا عام ١٩٩٩ وجميع هذه البرامج حالياً وبكل فخر حائزة على الاعتراف الدولي من المنظمة العالمية للمعالجين الوظيفيين. حيث تكمن أهمية هذا الاعتراف بالسماح لخريجي برامج العلاج الوظيفي من تلك الجامعات اكمال دراساتهم العليا في هذا المجال او العمل فيه في أي دولة من دول العالم.

منذ أيام قليلة عقد مؤتمر العلاج الوظيفي الأول في الرياض بالمملكة العربية السعودية برعاية صاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبدالله بن عبد العزيز وبحضور اكاديميين في هذا المجال ومعالجين وظيفيين من مختلف دول العالم وكان لنا شرف حضور هذا المؤتمر والمشاركة بورقة عمل ، حيث تمت الاشارة في الكلمة الإفتتاحية الى ان الأردن هو البلد الوحيد حالياً في المنطقة الذي لديه برامج تدريس علاج وظيفي .

العديد من المعالجين الوظيفيين من خريجي الأردن سواء كانوا من اردنيين او من جنسيات عربية اخرى يعملون حالياً في دول الخليج العربي او في غيرها من الدول الغربية حيث ومن خلال الاستطلاعات تبين لدنيا بأنهم على قدر جيد من العلم والعمل من حيث نوعية الخدمات التي يقدموها الى مرضاهم، حيث أتت هذه التقييمات عن مستوى المعالجين الوظيفيين من خريجي الأردن على لسان مدراء المستشفيات ومراكز التأهيل في المناطق التي يعمل بها هؤلاء المعالجيين.

اما داخل الأردن فيعمل عدد لا بأس به من المعالجين الوظيفيين في الخدمات الطبية الملكية وعدد قليل في وزارة الصحة، اما في القطاع الخاص فيعمل غالبيتهم في مراكز التربية الخاصة ومراكز ومستشفيات الرعاية النفسية، ومراكز الأطفال ذوي التحديات المختلفة وفي مجال المدارس للتعامل مع الأطفال ذوي صعوبات الكتابة والتعلم.

بالرغم مما ذكر فإن هذه المهنة ذات الاهتمام العالمي لا زالت تعاني من بعض التحديات في بلدنا ومن ابرز تلك التحديات هي عدم استفادة وزارة الصحة من خدمات العلاج الوظيفي بالشكل الكافي إذ بالرغم من وجود عدد لا بأس به من المعالجين الوظيفيين في سوق العمل الأردني يكاد عدد موظفي العلاج الوظيفي في وزارة الصحة لا يتجاوز العشرة من المعالجين. وليس يخفى على أحد بأن المستشفيات والمراكز الصحية التابعة لوزارة الصحة الأردنية جميعها بحاجة إلى توفير خدمات تأهيل في مجال الاعاقات الجسدية او النفسية او في مجال اعاقات الاطفال وتلك الخدمات ليست خدمات مكملة بل خدمات صحية ضرورية واساسية من الضروري توفيرها للمرضى. كما أن المستشفيات الخاصة المنتشرة في الأردن والتي يأتيها مرضى من داخل وخارج الأردن القليل منها فقط لديه أقسام علاج وظيفي . علماً بان خدمات العلاج الوظيفي بالإمكان الاستفادة منها من قبل المرضى داخل المستشفى ومن قبل المرضى الخارجيين. وتلك الخدمات أهم أهدافها تطوير مهارات المريض والرفع من استقلاليته في الحياة وبالتالي الارتقاء في نوعية حياته حيث أن تلك الأقسام بإمكانها تحقيق هدفين أولها الارتقاء بصحة المريض والثاني مصدر دخل آخر للمستشفيات المعنية.

التحدي الثاني يكمن في محدودية دعم برامج العلاج الوظيفي من قبل الجامعات الرسمية المختلفة لتلك البرامج وذلك من خلال توفير ميزانية كافية لتلك البرامج والاهتمام الأكبر في تطوير مختبرات العلاج الوظيفي من ناحية، ومن ناحية اخرى تطوير كادر العلاج الوظيفي الأكاديمي الذي يقوم على تدريس طلبة العلاج الوظيفي إذ انه من غير المقبول ان يقوم قسم علاج وظيفي على عضو او عضوي هيئة تدريس فقط بل يعتبر هذا الأمر من الخطورة بمكان، إذ ان تلك البرامج المعترف بها من المنظمة العالمية للمعالجين الوظيفيين تخضع وبشكل دوري الى تقييم من قبل الجمعية الأردنية للعلاج الوظيفي بتصرف من تلك المنظمة وفي حال ان متطلبات الاعتراف في أحد تلك البرامج قد أصبح أقل من المستوى المطلوب فإن ذلك سوف يعرض تلك البرامج الى سحب الاعتراف الدولي منها وبالتالي عدم الاعتراف بخريجيها .فلا بد من إتباع سياسة إيفاد لرفد تلك البرامج بعدد كافي من حملة الشهادات العليا في هذا التخصص .

ويكمن التحدي الثالث في أن يضطلع الأكاديميون في مجال العلاج الوظيفي بمسؤولياتهم بالاهتمام بنوعية الخريجين من ناحية تطوير مناهج التدريس لمواكبة متطلبات المجتمع وما هو جديد عالمياً في هذا المجال، ومن ناحية أخرى الاهتمام بالتدريب الميداني في مختلف مجالات العلاج الوظيفي للطلبة والتركيز على مهارات الاتصال لدى الطلبة خصوصاً الاتصال العلاجي وأسلوب الخطاب العلمي باللغة المتعارف عليها في المواد الدراسية إذ أن تلك المهارات تعتبر ركيزة مهمة في تطوير المهنة لدينا كما له الأثر الكبير في علاج المرضى والتخاطب بلغة علمية مع المعالجين الوظيفيين من مختلف الجنسيات .

التحدي الرابع الذي يواجه المعالجين الوظيفيين يكمن في عدم إعطاء المعالجة الوظيفية الاستقلالية المطلوبة في العمل وممارسة المهنة حسب الأصول، ومن الملاحظ هنا بأن بعض المراكز تقوم بتعيين معالج أو معالجة واحدة وذلك من ناحية الترويج فقط لتلك المراكز إذ أن متلقي الخدمات الصحية وخصوصاً أهالي الأطفال اللذين يعانون من مشاكل تطورية أو حركية يعرفون تماماً دور وأهمية خدمات العلاج الوظيفي فتقوم تلك المراكز بتوظيف معالج أومعالجة من أجل جذب المرضى دون الاهتمام بتفعيل دور العلاج الوظيفي وإعطاء هذا المجال الحرية في تقديم الخدمات المطلوبة.

وإن التحدي الآخر للمهنة يكمن في المعالجين الوظيفيين أنفسهم إذ انه مطلوب منهم أن يعملوا جاهدين على أن تكون خدماتهم مع المرضى على أعلى درجات المسؤولية والحرفية العالية والالتزام بالأخلاقيات الطبية والعمل الدائم على تعزيز وتطوير مهاراتهم وقدراتهم ومعلوماتهم في مجال تخصصهم العام وتخصصهم الدقيق وذلك من خلال المواظبة على الإطلاع على ما هو جديد وحضور المؤتمرات والأيام العلمية والندوات والدورات في هذا المجال والاشتراك في دوريات عالمية في مجال العلاج الوظيفي للإطلاع على ما هو جديد والتواصل مع زملاء المهنة وإعطاء صورة مشرقة عن هذا التخصص أمام المريض وأهله وأمام المجتمع ككل.

إن مدى التقدم الطبي في هذا البلد العزيز ما كان ليأتي إلا بتوجيهات من قيادتنا الهاشمية التي نفاخر بها فلابد من تظافر جهود جميع الجهات والمعنيين ممن تم ذكرهم لتذليل تلك التحديات أمام مهنة العلاج الوظيفي إذ أننا في هذا البلد وبناءاً على رؤية جلالة الملك عبد الله الثاني بن الحسين لا نقبل إلا التميز لما فيه صالح للجميع.

رئيس الجمعية الاردنية للعلاج الوظيفي
رئيس قسم العلاج الوظيفي/الجامعة الهاشمية
بالتعاون مع الجمعية الأردنية للبحث العلمي

HASHEM@HU.EDU.JO

هل تعتقد ان الحياة حياة المتناقضات

عماد مكاحلة

هل تعتقد بأن الحياة حياة المتناقضات؟،أم نحن من جعلناها متناقضات، هل تعتقد بأن الحياة في فكري وعقلي كما هي عندك هل الحياة بنظري ونظرك واحدة.. لا إنها كما يقولون حياة المتناقضات كل جانب منها يتناقض مع الاخر، منا من يتكلم عن الاخلاق وهو بعيد عنها ومنا من يتكلم عن الدين وهو لا يصلي ومنا من يتكلم عن الأمانة وهو لا يعرف طريقها ومنا من يتكلم عن الرجولة وهو بعيد عن فكرها ومنا من يصرخ ويأجج المشاعر بأقوال لا تمت لواقع معيشته بصلة ومنا من جعل حياته سويعات لإرهاق فكر غيره وجلب الهم والغم له ومنا من يقول ويقول ويقول ولكن عند الإمتحان فيما يقول يرسب بدرجة إمتياز... إذاً ليست حياة متناقضة بل نحن من تناقضنا مع فطرتنا وأخلاقنا. ثبات رأيك هو دليل ثبات مبادئك في الحياة فلاتطلب من الآخرين موافقتك على رأي أنت لا تقبله على نفسك،، هكذا هي الحياة تغيرت وقلبت موازين الكثير منا.منا من يعتقد إنه عرف كل شيئ وهو لا شيئ.فإن من حسن الخلق هو أن تتحلى بالصدق بما تقوله بجميع المواضع وعليك الثبات بالموقف سواء كان ذلك ضدك او معك.

فلا تناقض نفسك....لا نرى شيًً ينتقص من إحترام الشخص سوى التناقض في أفعاله وأقواله ومن واقعنا الحالي الكثير الكثير من التناقض الذي لا نجد له مبرر رجل في الأربعين من عمره يرفع صوته على أمهِ إرضاءاً لزوجته ويهجرها بالشهور ليثبت لزوجته حبه لها ويغضب لعدم طاعة أبناءه له، ويتهمهم بالعقوق عند تأخر زيارتهم لأمهم تناقض غريب عجيب لا تستوي معه كل ما يسمى بحياة الحداثة أو حياة التسارع الذي نعيشه الان ومنها أيضاً،شـاب يقيم علاقات مع مئات من الفتيات وعند الزواج يطلب الإرتباط من فتاة لايعرفها حتى تكون محط ثقته سبحان الله فقط من لا يعرفها ستكون محط ثقته؟؟ تناقض وعدم قبول للهزيمة الداخلية. رجل أعمال يخرج بمقابلة تلفزيونية ويتكلم عن الرحمة والصدقات والمعاملة الحسنة وخلف الكواليس هو ذلك الرجل الذي يقسو على موظفيه ويُؤخر رواتبهم ويخصم عليهم لأتفه سبب ويجرف ويحرق كل من يقف بطريقة بلا شفقة لانه رجل لا يشق له غبار هكذا يعتقد هو وإن تحدثت معه عن كيفية حصوله على المال بدأ بتنميق الكلمات(من أنا عصامي أنا تعبت أنا سهرت أنا لم أنم..الخ) وكما يقولون وعند شروق شمس الحقيقة سيتضح كل شيء هل سهر على تحصيل ماله بكده وجهده وتعبه أم سهر على كثير من منغصات الحياة على غيره. وهناك أمثله أخرى نسمعها ونطالعها منها أم لثلاث بنات متزوجات كانت قد أرهقت كاهل أزواجهن بعشرات الشروط التي كُتبت بعقد النكاح وقولها : أريد أن أضمن حقوق بناتي(وكأن مالك الملك غير موجود) بالسكن والعيش الكريم.. ومالى ذلك وعند زواج إبنها هي نفسها ترفض شروط أهل كل فتاة قد تقدمت لخطبتها لإبنها بحجة إنها شروطهم تعجيزية وكما نسمع من الكثير من الناس (في غيرها ألاف مؤلفة).سبحان الله كيف لا نقبل على إنفسنا التواضع ونًحرم على غيرنا طلب بديهيات الأمور ونقول حياة متناقضات!!..هي الحياة لا تحتمل منا أن نكون بوجهين فإما أن نتصارح بحقيقة ما نحس وإما سنبقى نتناقض طيلة حياتنا.يقال أن الحياة التي تمتلئ بتناقضات كثيرة هي حياة مادية صرفة حياة لا يمكن أن يطاق العيش بها حياة مصالح هنا وأهداف هناك.فالتناقض إسمه جاء من النقيض أي عكس الشيئ الأساسي فكم تناقض في حياتنا اليومية وكم من إتجاه سليم قويم تغير الى إتجاه ندم.نعم وكما يقول أحدهم لدينا شهادات أكثر ومنطق أقل ولدينا معرفة أكثر وحكمة أقل.ولدينا خبراء أكثر ومشاكل أكثر،، ولدينا أدوية أكثر وعافية أقل...ننفق بتهور ونضحك قليلا ونقود سياراتنا بسرعة بلا سبب! ونغضب بسرعة ونسهر كثيراً بلا هدف! ونستيقظ منهكين ونقرأ قليلا ونشاهد التلفزيون كثيراً ونادراً مانصلي ونادراً ما نحافظ على صلاة الجماعة.. هكذا أصبحنا تناقضات نحن صنعناها بأنفسنا.لقد ضاعفنا ممتلكاتنا وقللنا قيمنا فنحن نتكلم كثيراً بلا هدف ولا مضمون فقط من أجل الكلام،، ونحب قليلا ونكذب كثيرا جدا!!. ونعادي أقرب الناس لنا من أجل مصالحنا ومن أجل حياة فانية لم نراعي بها إلا أنانيتنا المفرطة والأنى البغيضة.وكما يقولون لقد وصلنا للقمر وعدنا الى الأرض ونعجز عن عبور الشارع لزيارة جار جديد أو أخ شقيق.ومنهم من يقول ونحن نقف مستغربين من حديثه وربما كان غيره يحمل الكثير من القصص عن حياة المتناقضات التي صنعناها بأنفسنا ((أخوي باب بيته مقابل باب بيتي وما بشوفه إلا الصبح وإحنا نازلين على الشغل)). بينما تجده يسهر الليل الطويل مع أصدقائه وهم يلعبون ويلهون لذلك فلدينا بيوت وقصور كثيرة كثيرة جداً وبيوت أكثر محطمه.قال تعالى:(ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا(عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له » رواه الترمذي.

عن صهيب قال (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له » يقول سفيان الثوري : ما عالجت شيئاً أشدّ عليَّ من نيتي لأنها تتقلب عليَّ في كل حين.))وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)). إذا تذكرت أنه ينقصك مال أو عندك أزمة أو عليك دين فتذكر النعم العظيمة والكنوز الكبيرة التي عندك من فضل الله من سمعٍ وبصر وفؤاد وعافية وستر وأمن ودين وذرية وغير ذلك لتجد أن الكفة تميل لصالحك، أفضل رد على النقّاد والحسّاد وأصحاب من يقولون ان الحياة تناقضات هي الأعمال الجليلة والصفات النبيلة والأخلاق الجميلة.

قال إبن القيم رحمه الله : إذا أصبح العبد وأمسى وليس همه إلا الله وحده تحمّل الله عنه سبحانه حوائجه كلها، وحمل عنه كلّ ما أهمّه، وفرّغ قلبه لمحبته، ولسانه لذكره، وجوارحه لطاعته، وإن أصبح وأمسى والدنيا همه حمّله الله همومها وغمومها وأنكادها ووكَلَه إلى نفسه، فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق، ولسانه عن ذكره بذكرهم، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم، فهو يكدح كدح الوحوش في خدمة غيره.. فكلّ من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته بُلِيَ بعبودية المخلوق ومحبته وخدمته. قال تعالى: ﴿ومن يعْشُ عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين﴾. الزخرف / ٣٦. قال تعالى : ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ النحل / ٩٧. هذه هي حياة المتناقضات التي حكناها بعقلية المادة البحتة ما تقوله وتعتقد إنه صحيح سيكون عند غيرك خطأ وما تعتقد بأنه من أساسيات الحياة سيكون عند غيرك كماليات؟!!. فكل هذه الحياة لا تسوى عند الله جناح بعوضة فكيف جعلناها متناقضات.فعندما ضيعنا الاخلاق ضيعتنا وعادت بنا الى القهقري إلى عالم الانانية وعالم المادة الضيق. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟ فَقَالَ : (تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ)، عن سهل بن سعد – رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :»لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء».يا الله.ما أحلمك !يا الله.ما أرحمك يا الله ما أمهلك لعبادك !كل هذا الصراع بين البشر بسبب شيء لا يسوى عند الله جناح بعوضة.. ونقول عالم متناقضات.

IMAD.MAKAHLEH@GMAIL.COM

الحاجة إلى الملكية الفكرية

عمار الجنيدي

نظراً لحاجة المثقفين والكتّاب والأدباء والمفكرين، على اختلاف مشاربهم الأدبية والفنية، لحماية نتاجاتهم تلك فقد برزت الحاجة المُلِحّة لقوانين تحميهم ونتاجاتهم من الاستغلال المعنوي والمادي، لحماية انتفاعهم الحصري من نتاج أفكارهم وإبداعهم الإنساني، ومن استهتار اللصوصيين واستهدافهم لهذه النتاجات و(لطشها) ، أينما كان ذلك متاحا، ونسبتها إليهم.

يشير مصطلح «الملكية الفكرية»، عادة، في مدلولاته إلى نتاج الأعمال الفكرية أو الابداعية كالاختراعات ومختلف المصنفات الأدبية والفنية وما يلحق هذه المصنفات من رموز وأسماء وصور ونماذج ورسوم صناعية، وهي تقسم إلى فئتين هما:

الملكية الصناعية: وتشمل في العادة الاختراعات (البراءات) والعلامات التجارية والرسوم والنماذج الصناعية.

وحق المؤلف: (وهو مصطلح قانوني يصف الحقوق الممنوحة للمبدعين في مصنفاتهم المختلفة) ، وهو يضم المصنفات الفكرية أو الأدبية الابداعية والفنية كالروايات والقصص والشعر والمسرحيات والمصنفات المرجعية والصحف وبرامج الحاسوب وقواعد البيانات والأفلام والألحان الموسيقية وتصاميم الرقصات والمصنفات الفنية مثل اللوحات الزيتية والرسوم والصور الشمسية والمنحوتات والتماثيل ومصنفات الهندسة المعمارية والخرائط الجغرافية والرسوم التقنية.

ففي ابسط تعريفاتها إذن: تكمن الملكية الفكرية على أنها كل ما ينتجه العقل الإنساني من اختراعات وإبداعات فنية وغيرها.

أما ما يُطلق عليه بالحقوق المجاورة لحق المؤلف، فهي حقوق فناني الأداء المتعلقة بأدائهم وحقوق منتجي التسجيلات الصوتية المرتبطة بتسجيلاتهم وحقوق هيئات الإذاعة المتصلة ببرامج الراديو والتلفزيون، وهي تعني فيم تعنيه: ما لورثة المؤلف من حقوق، أو المستفيدون من مجاورتهم وملازمتهم للمؤلف كشركاء في العمل الإبداعي ، بما لهم من حق استئثاري في الانتفاع بالمصنف أو التصريح للآخرين بالانتفاع به بما يتم التوافق عليه من شروط ، كفناني الأداء ومنتجي التسجيلات الصوتية المرتبطة بتسجيلاتهم وحقوق هيئات الإذاعة المتصلة ببرامج الإذاعة والتلفزيون.

والمبدع الأصلي للمصنف المحمي بموجب حق المؤلف وورثته يتمتعون ببعض الحقوق الأساسية التي تتيح لهم الحق الاستئثاري في الانتفاع بالمصنف أو منح الآخرين تصريحا بحق بالانتفاع به وذلك وفق شروط يتفق عليها الطرفان؛ فللمؤلف حقوق يتمتع بها : كحق استنساخ المصنف، والحق في أداء المصنف أمام الجمهور كما في المسرحيات أو كالمصنفات موسيقية؛ وإجراء تسجيلات للمصنف على أقراص مدمجة أو أشرطة سمعية أو أشرطة الفيديو- أو كما يشاء-، كبثه بوساطة الإذاعة أو الكابل أو عبر الفضاء، كما له الحق في ترجمة مؤلفه إلى لغات أخرى أو تحويره من قصة روائية إلى أي شكل إبداعي آخر، كما أن له ولورثت من بعده حقوقا أخرى يمكن جنيها كالحقوق المالية التي يمكن لها أن تمتد لخمسين عاما بعد وفاة المؤلف، وهناك حقوقا معنوية تحميه وتحمي مصنّفه من الاعتداء على نسبته إليه أو تحميه من كل ما يمسّ بسمعته الابداعية.

الميثاق العالمي لحقوق الإنسان اهتمّ بهذه المسالة، فقد نصّت المادة (٢٧) على حق الإنسان في صون وملكية واستفادته المادية والمعنوية من نتاجه العلمي أو الأدبي أو الفني.

والقصد بالمصطلح القانوني حق المؤلف : هو« كل ما يُعرّف ويصف ويشمل الحقوق الممنوحة للمبدعين في مصنفاتهم الأدبية والفنية من حيث حماية منتجهم الفكري من الاستغلال والاستفادة الحصرية منه».

أما الفئات التي ينقسم إليها ويعتبرها من منطقة خصوصيته فهي : الملكية الصناعية وما تشملها من اختراعات وبراءات اختراع والعلامات التجارية والرسوم والنماذج الصناعية، أما حق المؤلف : فيضم المصنفات الأدبية والفنية ، كالروايات والقصائد والمسرحيات والأفلام والألحان الموسيقية والرسوم واللوحات والمصنفات التي تجاورها من إبداعات ذات سمة فكرية فنية .

المنظمة العالمية للملكية الفكرية التي أصبحت على قدر كبير من الأهمية على مستوى العالم ، والتي اقترب عدد الدول الأعضاء فيها من المئتي دولة عضو، يرجع تاريخها إلى سنة ١٨٨٣م ، حيث أدّى امتناع عدد من المخترعين عن المشاركة في فعاليات المعرض الدولي للاختراعات بفييناّ سنة ١٨٧٣م لخشيتهم أن تتعرض اختراعاتهم للسطو والاستغلال إلى تشكيلها ، وتم أيضا تشكيل هيئة لحماية الملكية الصناعية في الفترة ذاتها وللتداعيات مشابهة، وبذلك دخل مفهوم حق المؤلف إلى الساحة الدولية ، وبدأت الاتفاقيات الدولية تنشط في الحث على الحصول على حماية دولية بشان المصنفات الفكرية والأدبية ، وكذلك التعريف بأهمية الوعي الثقافة الإنسانية بالملكية الفكرية وحقوقها، والكيفية التي يجب أن يجب تُصار إليها تلك العملية.

تكمن أهمية القوانين الناظمة للملكية الفكرية في أنها تحمي وتشجع على الابتكار والإبداع والتطور، فالمبدع عندما يرى انه هو وإبداعه محميان بموجب قوانين واضحة ، فان ذلك يشكّل حافزا قويا لديه ويشجّعه لمزيد من العطاء الإبداعي ، نتيجة شعوره بتحسين شروط الأمان ووفرة القوانين الحامية لنتاجه، ولأنها تحدّ بذلك من خطر وتغوّل القرصنة الفكرية ، مما يدفع بعجلة الاقتصاد والتطور الإبداعي والنتاج الحضاري أن يأخذ آفاقا أرحب وأكثر شمولية ورقيّا؛ بما تعتمد عليه التنمية الاقتصادية في بديهياتها على تشجيع البحوث ونقل التكنولوجيا ، وجلب الاستثمار والمستثمرين ، حيث يُسهم ذلك في رفع كفاءة الإنتاج وزيادة معدلاته ، بما يعنيه من انطلاقة حقيقية للاقتصاد؛ ليقينهم بأنهم محميين بقوانين تضمن وتكفل لهم عدم الاعتداء على حقوقهم.

إن التطور الهائل الذي حظيت به حقوق الملكية الفكرية والحقوق المجاورة لحق المؤلف بفضل التقدم التكنولوجي وثورة الاتصال العالمي، كانتشار البث الفضائي وسرعة الاتصال الرقمي، قد وفّر للمبدعين شعورا بالطمأنينة وشجعهم وجعلهم يطمئنون على نشر إبداعاتهم دون الخشية أن تتعرض مصنفاتهم للاستنساخ أو لكافة أشكال القرصنة ، بما يمنحهم إياه القانون من حقوق مالية عادلة وبما يكفله لهم من حقوق معنوية، كنسبة مصنفاتهم إليهم وعدم استنساخها أو قرصنتها ، ليضمنوا بالتالي تمتعهم بكافة حقوقهم المادية والمعنوية.

وهنا تبرز أهمية وجود «ثقافة الملكية الفكرية» في المجتمع حتى تحمي المواطن / المستهلك وتشجعه على اختيار السلعة أو الخدمات المعروفة بجودتها ، وتوعيته تجاه حقه في حماية فكره الذي يكتشف ويخترع ويبدع ويطور ويزيد من فرص تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فتحمي المؤلف ومصنفه من الانتفاع به من الغير بغير وجه حق، وتحمي المصنفات الإبداعية وتضمن حقوق مؤلفيها من السطو والقرصنة والضياع، وبالتالي الاعتراف بهم والانتفاع منها، وتحفيزهم على المزيد من الإبداع والابتكار لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية المرجوّة بسبب صونها ورعايتها.

إن التجارة غير الشرعية عن طريق القرصنة وبيع السلع المزورة ترهق كاهل الدول وتهدر مبالغ طائلة من إجمالي التجارة الشرعية فيها وخسائر مادية ومعنوية تلحق بأصحاب الملكية الفكرية، فالخسائر المادية الباهظة التي تتكبدها بعض القطاعات التجارية جرّاء عمليات القرصنة والتزوير ، بدءا من تكنولوجيا المعلومات وليس انتهاء بما تعانيه بعض الصناعات الدوائية من انتهاك للملكية الفكرية التي تُهدر وتُضَيّع مبالغ مالية طائلة على الدولة وعلى المبدعين والمخترعين أصحاب الملكية أنفسهم، لكن الأمور بدأت تأخذ مسارا مختلفا من الحماية والوعي بوجود مؤسسات ومنظمات دولية مناط بها مسئولية مساعدة الدول الأقل تطوراً لفهم حقوق وتحدّيات الملكية الفكرية وذلك من خلال مجموعة من الخبراء المتخصصين في مجال الملكية الفكرية أو عن طريق الخبراء المتطوعين بتكلفة رخيصة، ويتم ذلك وفق برامج عالمية متخصصة يتم فيها تقديم الاستشارات القانونية المتخصصة أو ما يلزم من خدمات؛ كتدريب الأشخاص أو ما يستلزم وما يتطلّب من خدمات أخرى.

WWW.MAKTOOBBLOG.COM/AMRJNDIS